٢٣ ـ الفجور في المخاصمة

لقوله ﷺ : «وإذا خاصم فجر» .

■ قال ابن رجب في (جامع العلوم والحكم): ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقًا، وهذا مما يدعو إليه الكذب كما قال النبي ﷺ : «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار» ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ : «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم» ، وقال : «إنكم لتختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي على نحوِ مما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه، إنما أقطع له قطعة من النار» ، وقال ﷺ : «إن من البيان لسحرًا» .

فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا على أن ينتصر للباطل ويخيل للسامع أنه حق ويوهن الحق ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات وأخبث خصال

النفاق، وفي سنن أبي داود عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع». اهـ.

٢٤ ـ يتمنون كفر المسلمين كما كفروا

قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩)، أن صاحب المعصية يتمنى لو أن الناس كلهم مثله، فاللوطي يتمنى أن يكون الناس مثله حتى لا يكون شاذًا بينهم وحتى يتسنى له عمله الإجرامي، وقس على ذلك جميع المعاصي ومنها الكفر الأعظم والنفاق الاعتقادي، فكل منافق مرق وخرج من الدين يريد أن يكفر الناس كلهم مثلما كفروا، والله نبه المسلمين بذلك كما في الآية السابقة؛ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾، هكذا يتمنون للمسلمين كلهم، فهذه من صفاتهم الخبيثة التي وصلت إلى حد تمني الكفر للمسلمين كلهم، وكم هم الذين وقعوا في النفاق الاعتقادي يريدون صراحة أن يكون الناس كلهم مثلهم تمامًا، وهذا مشاهد ملموس في هذه الأيام.

٢٥ ـ اللهوث وراء المعاصي . ٢٦ ـ تأخير التوبة.

٢٧ ـ الارتياب في البعث. ٢٨ ـ الاغترار بمغفرة الله

وجماع هذه الصفات في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (الحديد:١٣-١٤)، ففتنتم أنفسكم بالشهوات والملذات والمحرمات بدون مبالاة بحدود الله ولا بأوامره ولا بنواهيه، وتربصتم أي أخَّرتم التوبة من وقت إلى وقت آخر حتى جاء الموت ولم تتوبوا من ذنوبكم، وارتبتم أي: شككتم في أمر البعث، شابهتم الكفار في شكهم البعث وإنكارهم إياه ولقد قال الله في أول سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة:١٠)؛ أي في قلوبهم شك، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ (الحديد:١٤)؛ أي طال الأمل والأمنيات بأن الله سيغفر لكم فغالطتم على أنفسكم، والحقيقة أن الله قد قال: ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (المنافقون:٦).

وكم هم الناس الذين فتنوا أنفسهم بالشهوات والملذات ويؤخرون التوبة ويسوفون فيها وطال في قلوبهم الأمل بمغفرة الله حتى وصل الحد بهؤلاء إلى الشك في البعث والحساب والجزاء فركنوا إلى الدنيا وتركوا الدين، ونافقوا وخالف سرهم علنهم، وما يشعرون أنهم في موقف خطير: بداية المعاصي والتلذذ بها ثم طول الأمل ثم الشك في الآخرة أو الأمل في المغفرة. ختم على القلوب بعدها بالنفاق والعياذ بالله.

٢٩ ـ طاعة الكفار في بعض الأمور

وها هي السورة تتكرر مرة أخرى بموالاة الكفار ولكن بصورة أخرى في الباطن وهي الاتفاق بين المنافقين والكفار على أن يطيع المنافقون الكفار في بعض ما يأمرهم الكفار، وهذا هو الحاصل في كثير من المسلمين الذين يطيعون الكفار ليس أحيانًا في بعض الأمر، بل في كل الأمر، فربما تسمع في بعض الأخبار: «وخرج الطرفان من الجلسة متفقون في وجهات النظر» ونحو ذلك.

وكـان الذي اتفق عليـه الطرفـان من المسلمين والكفـار أحيانًا على نشر الديمقراطية والدفاع عنها على توحيد أركان العلمانية على إخراج المرأة من بيتها إلى مزاولة أعمال الرئة الثانية في المجتمع كما يقـول المنافقون. وهكذا أشياء كثيرة من هذا القبيل بل وأخـطر من ذلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢٥-٢٨).

(٣٠-٣١) عدم وثوقهم بنصر الله واتهام الله في حكمه

فقد قالوا لما قلل الله المسلمين في أعين المشركين: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ (الأنفال: ٤٩)، وقالوا يوم الأحزاب: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢)، وقال تعالى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ (الفتح: ٦)؛ أي المتهمين لله في حكمه.

٣٢ ـ يظهرون السماع والاستجابة للحق، وهم على العكس من ذلك

وفي هذه الصفة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٠-٢٣)، وقد ذكر ابن كثير عن ابن جرير: أنهم المشركون، وعن ابن إسحاق أنهم المنافقون.

■ ثم قال ابن كثير: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٧)، فقلوبهم مصروفة عن الحق، لا يفهمونه ولا يتدبرونه. وهكذا يخبرنا ربنا أنهم لا يفهمون

بلداء بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد:١٦).

▪ قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين في بلادهم وقلة فهمهم، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيء، فإذا خرجوا من عنده قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابة ﵃: ماذا قال آنفًا؟ ـ أي الساعة ـ لا يعقلون ما قال، ويكترثون له.

٣٣ ـ لا يتذكرون ولا يتوبون من المعاصي

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤-١٢٦).

(٣٤-٣٥) ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٥).

■ قال ابن كثير: وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ والَّذين ينقُضُون عهْد اللَّه... ﴾ الآية، قال: هي ست خصال في المنافقين، إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض.

وإذا كانت عليهم أظهروا الثلاث الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا.

٣٦ ـ بغض الأنصار

جـاء في الصحـيح من حديث نأس أن رسـول الله ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»، ولا يزال إلى الآن من المنافـقين من يبغض صـحابة رسـول الله ﷺ بشكل عام ويكفـرهم، والأنصار بشكل خـاص. فآية النفاق هذه لازالت موجودة في الروافض ومن شاكلهم من فلاسفةٍ وأهل كلام أو زندقة وهكذا.

٣٧ ـ الصد عن سبيل الله

وذلك عن طريق إظهـار إيمانهم، فـاستـغلوا ثقـة بعض المسلمين بهم فقاموا بالصد عن سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ٢)، وقوله: ﴿ تَخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (المجادلة: ١٦).

ومن صور الصد عن سبيل الله ما تقدم؛ كالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والصد عن الجهاد والقتال في سبيل الله

ومن ذلك أيضًا إيقاف أعمال الخير من بناية مساجد أو إيصال الأموال إلى الفقراء والمحتاجين بحجج أن الفقراء لا يحتاجونها أو أنهم يتصرفون بها في غير اللازم، إن هؤلاء الفقراء يحصلون على معونات من أماكن أخرى . . وهكذا من صور الصد صرف الناس عن الذي ينفعهم كالكتاب والأشرطة والمحاضرات والدروس النافعة، وهكذا صد الناس عن سؤال أهل العلم أو عن السؤال عن مناهج المنافقين وفضح عوارهم من علمانية وديمقراطية وحرية ومساواة وإخاء وهلم جرا من الشعارات البراقة الزائفة التي يخدع بها المسلمون.

ومن مظاهر الصد: التثبيط عن الجهاد، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب: ١٨)، ومن صور الصد أيضًا الصد عن التحاكم إلى الكتاب والسنة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء: ٦١).

٣٨ ـ يتبعون أهواءهم

قـال تعـالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٦)، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (الفرقان: ٤٣): هو المنافق، لا يهوى شيئًا إلا ركبه، فلا يوجد عندهم شيء اسمه انضباط أو استجابة للكتاب والسنة أو وعيد لمن خرج عنهما وتبع هواه، فكل هذه لا تقدم ولا تؤخر أمام شهواتهم وأهوائهم التي ختم الله بها على قلوبهم وأضلهم على علم وأعمى أبصارهم عن رؤية الحق، وجعل في آذانهم وقرًا عن سماع الحق، فهم مرضى فزادهم الله مرضًا، فمن يهديهم من بعد الله؟!

٣٩ ـ يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٨).

■ جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد؛ أنها نزلت في رجال من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلافه، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

٤٠ ـ التربص بالمؤمنين دوائر السوء

قال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤١).

٤١ ـ الشك في الدين

من أبرز علامات المنافقين أنهم يشكون في صدق دعوة الله التي جاء بها رسول الله ﷺ، فهم في شك دائم، ومتى بدا لهم خيط يؤيد ما هم عليه خرجوا من الشك

إلى الكفر مباشــرة، ولهذا يقول تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠)؛ أي شك، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو المنافق إن صلحت دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فإن أصابته فتنة أو شدة واختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر.

٤٢ ـ ترك صلاة الجمعة ثلاث جمع

ودليل ذلك قوله ﷺ: «من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها، ثم سمعه فلم يأتها طبع الله على قلبه وجعل قلبه قلب منافق» (أخرجه البيهقي عن يحيى بن سعد لبن زرارة).

٤٣ ـ لا يجتمع فيهم حسن السمت والفقه في الدين

قال رسول الله ﷺ : «خصلتان لا يجتمعان في منافق: حسن سمت، ولا فقه في الدين» (أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم ٢٧٨).

٤٤ ـ بغض علي بن أبي طالب

أخرج مسلم من حديث علي أنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ ألا يحبَّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».

(٤٥-٤٦) الفحش في الكلام والتعمق والتقعر في النطق

أخرج الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ : «الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق». قال الترمذي: «العي: قلة

الكلام، والبذاء: الفحش في الكلام، والبيان: هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون الناس ويتوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضى الله».

٤٧ ـ الغناء

جاء عن ابن مسعود أنه قال: «**إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل**».

■ وقال ابن القيم كما في (إغاثة اللهفان): فاعلم أن للغناء خواصَّاً لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونبته فيه كنبات الزرع بالماء، فمن خواصه أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن الغناء والقرآن لا يجتمعان في القلب أبدًا لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات

الغي كامنها، ويزعج قاطنها ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعان لبان وفي تهيجها على القبائح فرسًا رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدينه وصديقه، عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ، وهو جاسوس القلب وسارق المروءة وسوس العقل يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفئدة ويدب إلى محل التخيل فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة . . . إلخ.

٤٨ ـ الخروج من المسجد بعد سماع الأذان إلا لحاجة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسمع النداء أحد في مسجدي هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إلا منافق**» (رواه الطبراني، وانظر «الصحيحة» برقم ٢٥١٨).

وظاهره خاص بالمسجد النبوي، ولكن حديث أبي هريرة يفيد العموم، فقد روى أبو الشعثاء، قال: كنا مع أبي هريرة في المسجد فخرج حين أذن المؤذن للعصر، فقال أبو هريرة: «**أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ**» (رواه مسلم).

٤٩ ـ المرأة تطلب الخلع أو الطلاق بدون عذر

عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**المختلعات هنّ المنافقات**» (رواه الترمذي).

■ قال السندي في (حاشيته على المسند): أي عملاً لا اعتقادًا؛ أي مثل هذا الفعل ينبغي أن لا يتحقق من المؤمنة، وإنما يتحقق من المنافقة، والله تعالى أعلم.

هكذا بدت لنا صفات المنافقين التي ذكرها الله في كتابه وذكرها النبي ﷺ في سنته، وأخيرًا ما جاء عن ابن مسعود وما كان ذكرها تسلية بل عظة وعبرة ودروسًا زاجرة

وتحذيرات قوية، فعلى المسلم الاجتناب والابتعاد عن هذا العدو المليء بالمستنقعات والهوام والطوام، وليضرع إلى الله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠)، ونختم ذكر صفات المنافقين بكلام نفيس للإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ حتى تكمل الفائدة والله المستعان.

■ قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

«وأما النفاق فالداء العضال والباطن الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر، فإن أمر خفي على الناس، وكثيرًا ما يخفى على من تَلَبَّس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد، وهو نوعان: أكبر وأصغر. فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل؛ وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه، وقد هتك الله أستار

المنافقين وكشف أسراراهم في القرآن وجلَّى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكر طوائف العلم الثلاثة في أول سورة البقرة؛ المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكفار آيتين وفي المنافقين ثلاث عشر آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله.

فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدًا، لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وأصلح وهو غاية الجهل والإفساد، فلله كم معقل للإسلام قد هدموه، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه، وكم من علم له قد طمسوه، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه، وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها، وكم غموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبهم

سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون؛ ﴿ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ولكن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١٢)، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:٨)، اتفقوا على مفارقة الوحي، فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون؛ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون:٥٣)، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ (الأنعام:١٢٢)، ولأجل ذلك: ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ (الفرقان:١٠).

درست معالم الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، وأفلت كواكبه النيرة من قلوبهم فليسوا يحيونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها، لم يقبلوا هدي الله الذي أرسل به رسوله ولم يرفعوا به رأسًا ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسًا، خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة وعزلوها عن ولاية

اليقين، وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام فقابلوها بغير ما ينبغي لها من القبول والإكرام، وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في الصدور فيها والإعجاز، وقالوا ما لك عندنا من عبور وإن كان لابد فعلى سبيل الاجتياز أعدوا لدفعها أصناف العدد وضروب القوانين وقالوا لما حلت بساحتهم: ما لنا ولظواهر لفظية ولا تفيدنا شيئًا من اليقين! وعوامهم قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه خلفنا من المتأخرين فإنهم أعلم بها من السلف الماضين وأقوم بطرائق الحجج والبراهين.

وأولئك غلبت عليهم السذاجة وسلامة الصدور ولم يتفرغوا لتمهيد قواعد النظر ولكن صرفوا همتهم إلى فعل المأمور وتركوا المحظور، فطريق المتأخرين أعلم وأحكم، وطريق السلف الماضين أجهل ولكنها أسلم، أنزلوا نصوص السنة والقرآن منزلة الخليفة في هذا الزمان اسمه على السكة

وفي الخطبة فوق المنابر مرفوع والحكم النافذ لغيره، فحكمه غير مقبول ولا مسموع، لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران.

فالظواهر ظواهر الأنصار والبواطن قد تحيزت إلى الكفار، فألسنتهم ألسنة المسالمين وقلوبهم قلوب المحاربين، ويقولون: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨)، رأس مالهم الخديعة والمكر وبضاعتهم الكذب والختر، وعندهم العقل المعيشي أن الفريقين عنهم راضون، وهم بينهم آمنون؛ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩)، قد أنهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصور السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك فعجز عنه الأطباء العارفون؛ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: ١٠).

من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق، ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق ومن دخلت شبهات تلبيسهم في مسامعه حالت بين قلبه وبين التصديق، ففسادهم في الأرض كثير وأكثر الناس عنه غافلون؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١١-١٢).

المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر منحوس حظ من المعقول، والدائر مع النصوص عندهم كالحمار يحمل أسفارًا، فهمه من حمل المنقول وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة ما هو عندهم بمقبول، وأهل الاتباع عندهم سفهاء ألا إنهم هم السفهاء، فهم خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٣).

■ قال الشاعر: رمتني بدائها وانسلت. لكل منهم وجهان؛ وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين. وله لسانان، أحدهما يقلبه بظهر المسلمين، والآخر يترجم به عن سره المكنون؛ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة: ١٤).

قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاء بأهلها واستحقارًا، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحًا بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه الأشرار واستكبارًا، فتراهم أبدًا بالمتمسكين بصريح الوحي يستهزئون؛ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥).

خرجوا في طلب التجارة البائرة في بحار الظلمات فركبوا مراكب الشبه والشكوك تجري بهم في موج الخيالات، فلعبت بسفنهم الريح العاصف فألقتها بين سفن

الهالكين؛ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٦)، أضاءت لهم نار الإيمان فأبصروا في ضوئها مواقع الهدى والضلال، ثم طفئ ذلك النور وبقيت نارًا تتأجج ذات لهب واشتعال، فهم بتلك النار معذبون وفي تلك الظلمات يعمهون؛ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة:١٧)،

أسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر، فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى فهي لا تبصر حقائق القرآن، وألسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون؛ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة:١٨).

صاب عليهم صيب الوحي وفيه حياة القلوب والأرواح فلم يسمعوا منه إلا رعد التهديد والوعيد والتكاليف التي وظفت عليهم في المساء والصباح، فجعلوا

أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، وجدوا في الهرب والطلب في آثارهم والصياح فنودي عليهم على رؤوس الأشهاد وكشفت حالهم للمستبصرين وضرب لهم مثلان بحسب حال الطائفتين، منهم المناضرين والمقلدين، فقيل: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩).

ضعفت أبصار بصائرهم عن احتمال ما في الصيد من بروق أنواره وضياء معانيه، وعجزت أسماعهم عن تلقي رعود وعوده وأوامره ونواهيه، فقاموا عند ذلك حيارى في أودية التيه لا ينتفع بسمعه السامع ولا يهتدي ببصره البصير؛ ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٠)، والله أعلم.

فصل:

لهم علامات يعرفون بها مبينة في السنة والقرآن بادية لمن تدبرها من أهل بصائر الإيمان، قام بهم والله الرياء وهو أقبح مقام قامه الإنسان. وقد عد بهم الكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن، فأصبح الإخلاص عليهم لذلك ثقيلاً؛ ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٤٢)، أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين يتعر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ولا تستقر مع إحدى الفئتين، فهم واقفون بين الجَمْعَين ينظرون أيُّهم أقوى وأعز قبيلاً؛ ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٤٣).

يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن، فإن كان لهم فتح من الله قالوا: ألم نكن معكم، وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم، وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة قالوا: ألم تعلموا عقد الإخاء بيننا معكم وأن

النسب بيننا قريب. فيا من يريد معرفتهم خذ صفاتهم من كلام رب العالمين، فلا نحتاج بعده دليلاً:

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء: ١٤١)، يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه ويشهد الله على ما في قلبه من كذب ومينه، فتراه عن الحق نائمًا وفي الباطل على الإقدام.

فخذوا وصفهم من قول ـ القدوس السلام ـ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (البقرة: ٢٠٤)، أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، وأحدهم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد؛ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، فهم جنس بعضه يشبه بعضًا، يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال في سبيل الله ومرضاته أن ينفقوا كما ذكرهم الله بنعمه، فأعرضوا عن ذكره ونسوه.

وكم كشف حالهم لعباده المؤمنين ليتجنبوه، فاسمعوا أيها المؤمنون: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٦٧)، إن حاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمرًا بعيدًا، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضًا شديدًا؛ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء: ٦١)، فكيف لهم بالفلاح والهدى بعدما أصيبوا في عقولهم وأديانهم، وأنَّى لهم التخلص من الضلال والردى

وقد اشتروا الكفر بإيمانهم، فما أخسر تجارتهم البائرة وقد استبدلوا بالرحيق المختوم حريقًا؛ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٢)، تشب زقوم الشبه والشكوك في قلوبهم فلا يجدون له مسيغًا؛ ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ (النساء: ٦٣)، تبًا لهم، ما أبعدهم عن حقيقة الإيمان، وما أكذب دعواهم للتحقيق والعرفان، فالقوم في شأن وأتباع الرسول في شأن والله أعلم، وصلى الله على محمد.

لقد أقسم الله ـ جلَّ جلاله ـ في كتابه بنفسه المقدسة قسمًا عظيمًا يعرف مضمونه أولو البصائر، فقلوبهم منه على حذر إجلالاً له وتعظيمًا، فقال تعالى تحذيراً لأوليائه وتنبيهًا على حال هؤلاء وتفهيمًا: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥)، تسبق يمين أحدهم

كلامه من غير أن يعترض عليه لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه فتبرأ بيمينه من سوء الظن به وكشف ما لديه، وكذلك أهل الريبة يكذبون ويحلفون ليحسب السامع أنهم صادقون، قد؛ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ٢).

■ قال الشاعر:

أمسى النفاق دروعًا يستجن بها ■■■ عن الأذى ويقوى سردها الحلف

تبًا لهم، برزوا إلى البيداء مع ركب الإيمان فلما رأوا طول الطريق وبُعد الشُّقة نكصوا على أعقابهم فرجعوا وظنوا أنهم يتمتعون بطيب العيش ولذة المنام في ديارهم، فما متعوا به ولا بتلك الهجعة، انتفعوا فما هو إلا أن صاحب بهم الصائح فقاموا عن موائد أطعمتهم والقوم جياع ما تشبعوا، فكيف حالهم عند اللقاء وقد عرفوا ثم أنكروا وعموا بعد ما عاينوا الحق وأبصروه؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٣).

أحسن الناس أجسامًا وأخلبهم لسانًا وألطفهم بيانًا وأخبثهم قلوبًا وأضعفهم جنانًا، فهم كالخشب؛ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤)، يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شرف الموتى، فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب، إذ هي صلاة الأبدان لا صلاة القلوب ويتلفتون فيها التفاتة الثعلب إذ يتيقن أنهم طرود مطلوب ولا يشهدون الجماعة بل إن صلى أحدهم ففي البيت أو الدكان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان.

هذه معاملتهم للخلق وتلك معاملتهم للخالق فخذ وصفهم من أول المطففين وأخر والسماء والطارق، فلا ينبئك عن أوصافهم مثل خبير؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣)، فما

أكثرهم وهم الأقلون، وما أجبرهم وهم الأذلون، وما أجهلهم وهم المتعالمون، وما أغرهم بالله إذ هم بعظمته جاهلون؛ ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (التوبة: ٥٦)، إن أصاب أهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور ساءهم ذلك وغمهم، وإن أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرهم، وهذا يحقق إرثهم وإرث من عداهم، ولا يستوي مَنْ موروثه الرسول ومَنْ موروثهم المنافقون؛ ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥٠-٥١)، وقال تعالى في شأن السلفيين المتخلفين والحق لا يندفع بمكابرة أهل الزيغ والتخليط: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

كره الله طاعتهم لخبث قلوبهم وفساد نياتهم فثبطهم عنها وأقعدهم وأبغض قربهم منه وجواره لميلهم إلى أعدائه فطردهم عنه وأبعدهم، وأعرضوا عن وجده فأعرض عنهم وأشقاهم وما أسعدهم وحكم عليهم بحكم عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده إلا أن يكونوا من التائبين، فقال تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (التوبة: ٤٦)، ثم ذكر حكمته في تثبطهم وطردهم عن بابه وإبعادهم، وإن ذلك من لطفه بأوليائه وإسعادهم، فقال وهو أحكم الحاكمين: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ (التوبة: ٤٧).

ثقلت عليهم النصوص فكرهوها، وأعياهم حملها فألقوها عن أكتافهم ووضعوها وتفلتت منهم السنن أن يحفظوها فأهملوها، وحالت عليهم نصوص الكتاب والسنة فوضعوا لها قوانين وردوها بها ودفعوها، ولقد هتك الله

أستارهم وكشف إسرارهم وضرب لعباده أمثالهم، وأعْلَمَ أنه كلما انقرض منهم طوائف خَلَفَهم أمثالُهم، فذكر أوصافهم لأوليائه ليكونوا منها على حذر وبينها لهم فقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٩)، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا شأن من ثقلت عليه النصوص فرآها حائلة بينه وبين بدعته وهواه فهي في وجهه كالبنيان المرصوص، فباعها بمحصل من الكلام الباطل واستبدل منها بالفصوص، فأعقبهم ذلك أن أفسدوا عليهم إعلانهم وإسرارهم؛ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٦-٢٨)، أسروا سرائر النفاق فأظهرها الله على صفحات الوجوه منهم وفلتات اللسان ووسمهم لأجلها بسيماء لا يخفون بها على أهل البصائر

والإيمان، وظنوا أنهم إذا كتموا كفرهم وأظهروا إيمانهم رجوا على الصيارف والنقاد، كيف والناقد البصير قد كشفها لكم؛ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٢٩-٣٠)، فكيف إذا جمعوا ليوم التلاق وتجلى الله ـ جل جلاله ـ للعباد وقد كشف عن ساق ودعوا إلى السجود فلا يستطيعون؛ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم: ٤٣).

أم كيف لهم إذا حشروا إلى جسر جهنم وهو أدق من الشعرة واحدٌ من الحسام، وهو دحض مزلة، مظلم لا يقطعه أحد إلا بنور يبصر به مواطئ الأقدام، فقسمت بين الناس الأنوار وهم على قدر تفاوتهم في المرور والذهاب، وأعطوا نورًا ظاهرًا مع أهل الإسلام كما كانوا بينهم في هذه الدار يأتون بالصلاة والزكاة والحج والصيام. فلما

توسطوا الجسر عصفت على أنوارهم أهوية النفاق فأطفأت ما بأيديهم من المصابيح فوقعوا حيارى لا يستطيعون المرور، فضرب بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب، ولكن قد حيل بين القوم وبين المفاتيح، باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة وما يليهم من قلبهم العذاب والنقمة، ينادون من تقدمهم من وفد الإيمان ومشاعل الركب تلوح على بعد كالنجوم تبدوا لناظر الإنسان؛ ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد: ١٣)، لنتمكن في هذا المضيق من العبور، فقد طفئت أنوارنا ولا جواز اليوم إلا بمصباح من النور؛ ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (الحديد: ١٣)، حيث قسمت الأنوار، فهيهات الوقوف لأحد في مثل هذه المضمار.

كيف تلتمس الوقوف في هذا الضيق فهل يلوا اليوم أحد على أحد في هذا الطريق، وهل يلتفت اليوم رفيق إلى رفيق، فذكروهم باجتماعهم معهم وصحبتهم لهم في هذه الدار، كما يذكر الغريب صاحب الوطن بصحبته له في

الأسفار؛ ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ (الحديد: ١٤)، نصوم كما تصومون ونصلي ونقرأ كما تقرءون وتصلون ونتصدق كما تتصدقون ونحج كما تحجون. فما الذي فرق بيننا اليوم حتى انفردتم دوننا بالمرور؟! ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: ١٤-١٥)، لا تستطيل أوصاف القوم، فالمتروك ـ والله ـ أكثر من المذكور، كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم، لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات وتتعطل بهم أسباب المعايش وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات.

■ سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال: يا ابن أخي، لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقكم من قلة السالك.

تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين لعلمهم بدقه وجله وتفاصيله، وجملةً ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين، قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: «يا حذيفة، نشدتك بالله، هل سماني لك رسول الله ﷺ من المنافقين؟» قال: لا ولا أزكي بعدك أحداً. وقال ابن مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل (ذكره البخاري).

وذُكر عن الحسن البصري قوله: ما أمنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن.

ولقد ذكر عن بعض الصحابة أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع.

تالله لقد ملئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا وخوفهم من النفاق شديد وهمهم لذلك ثقيل وسواهم كثير منهم لا

يجاوز إيمانهم حناجرهم وهم يدَّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

زَرْع النفاق نبت على ساقيتين: ساقية الكذب وساقية الرياء، ومخرجها من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربع استحكم نبات النفاق وبنيانه، ولكنه بمدراج السيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر وكشف المستور وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور تبين حينئذ لمن كانت بضاعته النفاق أن مواصله التي حصلها كانت كالسراب؛ ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩).

قلوبهم عن الخيرات لاهية، وأجسادهم إليها ساعية، والفاحشة في فجاجهم فاشية، وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية، فإذا حضروا الباطل وشهدوا الزور انفتحت أبصار قلوبهم وكانت آذانهم واعية، فهذه والله أمارات النفاق فاحذرها أيها الرجل قبل أن تنزل بك

القاضية، إذا عهدوا لم يفوا، وإن وعدوا أخلفوا، وإن قالوا لم ينصفـوا، وإن دعوا إلى الطاعـة وقفـوا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى مـا أنزل الله وإلى الرسول صرفوا، وإذا دعـتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصرفوا.

فـذرهم وما اختـاروا لأنفـسهم مـن الهوان والخـزي والخسـران، فلا تثق بعـهودهم ولا تطمـئن إلى وعودهم، فإنهم فيـها كاذبون وهم لما سواها مـخالفون؛ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٥-٧٧)، اللهم امنن علينا بإصلاح عـيوبنا وستـر زلاتنا، واجـعلنا من عبـادك المهتـدين، واغفـر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحيـاء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

واجب المسلم تجاه المنافقين

إن الواجب على كل مسلم أن يستجيب لأوامر الله التي أمر بها ويذعن لها، وهذه هي حقيقة العبودية، ومن ذلك ما أمرنا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمعاملة المنافقين وما ذكر النبي ﷺ في سنته. ومن هذه المعاملة:

أ ـ القتل:

المنافقون الذين ظهرت عداوتهم وبغضهم للدين وهم الذين يكيدون له كيدًا ظاهرًا حتى بدت زندقتهم، فيجب على ولي أمر المسلمين أن يضرب أعناقهم، وقد كلم الصحابة النبي ﷺ في قتل عبد الله بن أبي فامتنع النبي ﷺ، وكان المانع قوله: «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»، ولم ينكر عليهم قولهم بالقتل، وما امتنع إلا لعلَّة، وفي ذلك يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**﴾ (النساء: ٨٩).

■ قال ابن القيم: «إن عدم قتل المنافق المعلوم، إنما هو في حياة الرسول ﷺ فقط».

والمنافقون الذين يتجسسون على المسلمين وينقلون الأخبار لهم فجزاؤهم القتل أيضًا، كما أراد عمر أن يقتل حاطب عندما كتب الرسالة إلى المشركين ينقل أخبارهم، ولكن منعه النبي ﷺ بسبب أن حاطبًا كان ممن شهد بدرًا، ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فلم ينكر النبي ﷺ على عمر حيث أراد قتل حاطب، وإنما كان المانع أن حاطبًا كان ممن شهد بدرًا، وعلى هذا ذكر الفقهاء أن حكم الجاسوس القتل.

٢ ـ مجاهدتهم والتحذير منهم والحذر منهم وعدم اتخاذهم بطانة:

لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣)، وقوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (المنافقون: ٤)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨).

٣ ـ الإعراض عنهم:

فالمنافقون الذين لا يتعدى أذاهم أنفسهم أو قد يعجز المسلم عن التعامل معهم معاملة شرعية، فالواجب الإعراض عنهم؛ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣)، وقوله: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (التوبة: ٩٥).

٤ ـ هجرهم وعدم مجالستهم وترك السلام عليهم:

فالمنافقون الذين ظهرت عليهم بعض العلامات من الحكمة معاملتهم بعدم مجالستهم وهجرهم وترك السلام عليهم، كما في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا فقد هجرهم النبي ﷺ وأمر بهجرهم وترك السلام عليهم والكلام معهم، وهكذا الذين امتنعوا من الهجرة، ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٨٩).

٥ ـ عدم السماع لهم وعدم استشارتهم:

كما في قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الأحزاب: ١)، وقوله: ﴿ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٤٨).

٦ ـ المنافقون الذين يضمرون نفاقهم، فهؤلاء نَكِل أمرهم إلى الله:

كما قال عمر: «ما أمرت أن أنقب عن قلوب الناس»، وقد كان الصحابة يعرفون بعضهم ولا يجزمون بالحكم على أحد، وكان عمر ينظر إلى حذيفة إذا مات رجل فإن صلى عليه صلى عليه عمر وإن لم يصل امتنع عن الصلاة عليه، وهؤلاء الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو المتكفل بفضحهم، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٩ ـ ٣٠).

جزاؤهم في الدنيا والآخرة

أما جزاؤهم في الدنيا:

١ ـ عزلهم عن المسلمين وعدم مجالستهم واتخاذهم بطانة، قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾(النساء: ٦٣)، وقوله: ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ (التوبة: ٩٥).

٢ ـ يعذبهم الله في أموالهم وأولادهم، قال تعالى: ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(التوبة: ٥٥).

٣ ـ عدم الصلاة عليهم إذا ماتوا وعدم الدعاء لهم عند قبورهم، قال تعالى: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٨٤).

٤ ـ عدم الاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة: ٨٠).

٥ ـ عدم قبول أعمالهم؛ إما لكفرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤)، وقال: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٥٣).

■ أو بسبب الرياء، قال تعالى: ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (النساء: ١٤٢)، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٨).

٦ ـ سوء الخاتمة وشدة نزع الروح؛ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٧).

وأما في الآخرة:

١ ـ في القبر: عجزهم عن الإجابة على الملكين، ففي الصحيحين من حديث أسماء: «وأما المنافق أو المرتاب فيقول: ها ها لا أدري».

٢ ـ يوم القيامة: فلهم أصناف وأنواع من العذاب،

■ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠).

■ وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٨).

■ وقال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ (الأحزاب: ٧٣).

■ وقال: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٣٨).

- وقال: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة: ٨٢).

- وقال: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (التوبة: ٩٥).

- وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: ١٥).

- وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (النساء: ١٤٥).

المخرج من النفاق

■تقدم الكلام على صفات المنافقين، وقد يقول قائل: فما المخرج وما العلاج؟

فالجواب: الواجب على المسلم أن يعرف صفات المنافقين ثم يبتعد عنها، وإن كان قد وقع فيهم فيعالج المرض قبل استفحاله، ولا يكفي معرفة صفاتهم بل وعمل الواجبات التي تنجي من النفاق، ومن ذلك:

١ ـ الإخلاص: فمن ترك الرياء فلابد أن يخلص عمله لله؛ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(البينة: ٥).

٢ ـ الاعتصام بالله، والتوبة إلى الله من النفاق، وإصلاح ما قد فسد: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء: ١٤٥-١٤٦).

٣ ـ الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من أعداء الله ورسوله والمؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٧١).

■ وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥).

■ وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٤٤).

■ وقال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

٤ ـ الصدق؛ قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩)، وإن ركن النفاق الكذب وعلامة الإيمان الصدق، فمن ترك الكذب فقد ترك أساس النفاق فلابد عليه أن يتحلى بالصدق.

٥ ـ الجهاد في سبيل الله أو الاستعداد له أو تحديث النفس به؛ قال تعالى: ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ٤٤).

■ وقال: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة: ٤٦).

■ وفي مسلم أن النبي ﷺ قال: «من لم يَغْزُ أو يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق».

٦ ـ أداء العبادات بلا كسل ولا ملل؛ والمحافظة على الصلوات في الجماعة إلا من عذر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق معلوم النفاق»،

وأخرج الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان؛ براءة من النار، وبراءة من النفاق». وقد كان المنافقون يعرفون بالتكاسل وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

٧ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فشعار المنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وأما المؤمنون فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١).

٨ ـ **الاستسلام لأوامر الله**: عند التحاكم إليه وإلى رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١).

٩ ـ **إصلاح الباطن والظاهر**: فمن أصلح ظاهره وأفسد باطنه فهو منافق، وما كان النفاق إلا بسبب فساد الباطن وإصلاح الظاهر فقط.

١٠ ـ **ذِكْرُ الله كثيرًا**: فالمنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، قال كعب رضي الله عنه: «**من أكثر ذكر الله برئ من النفاق**».

■ فهذه بعض الأمور العامة، يدخل فيها الكثير من الواجبات والمستحبات، والمقصود هو العمل بطاعة الله ظاهرًا وباطنًا والاستقامة على ذلك، وترك المنهيات باطنًا وظاهرًا، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو الموفق لما يحب ويرضى.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.